

إكرام الله لرسوله ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه
وبعد .

فيقول المولي عز وجل ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضي . ألم يجدرك يتيما
فأوي . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغني ﴾ (الضحى ٨٠، ٧٦، ٥) .

لقد أكرم الله رسوله سيدنا محمدا ﷺ بما لا يحصى من النعم الظاهرة والباطنة .
وذكر منها العديد في القرآن الكريم . كما ذكر منها المصطفى ﷺ العديد في سته . تحدثنا
بنعمة الله تعالى .

فهو ﷺ سيد الأولين والآخرين . وأفضل خلق الله أجمعين . وفي هذه الآيات من
سورة الضحى حديث عن طرف من نعمه سبحانه وتعالى عليه فالمولي عز وجل وعده
بأنه سيعطيه حتى يرضى .

وأنعم بها من بشارة من الملك الحق المبين في صدر الدعوة وأول الرسالة والبشارة
لها في النفس البشرية آثار عظيمة .

فما هو الحال إذا كانت من الملك الحق المبين الذي لا تنفذ خزائنه . وقوله الحق
ووعده الصدق .

وعطاءه سبحانه لرسوله ﷺ الذي يرضيه يتسع لعطاء الله له في الدنيا
والآخرة . وعطاء الله له ولأهل بيته وأمة كذلك .

فهو عطاء يتسع حتي يشمل الدنيا والآخرة . وحتى يشمل آله وأمة ومن عطائه له
في الدنيا وهو عطاء لأمة ما فتح علي المسلمين من خزائن الأرض روي الإمام الأوزاعي
بسنده عن ابن عباس عن أبيه قال : عرض علي رسول الله ﷺ ما هو مفتوح علي أمة
بعده كثرًا كثرًا فسر بذلك وأعطاءه الله في الجنة ألف قصر . في كل قصر ما ينبغي له من
الأزواج والخدم . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . قال ابن كثير : هذا إسناد صحيح إلي ابن
عباس . ومثل هذا لا يقال إلا عن توقيف أي عن سماع من المصطفى ﷺ .

ثم عدد المولي عز وجل بعد ذلك طرفا من نعمه المبكرة عليه منذ نشأته يقول

سبحانه ﴿ألم يجدك يتيما فآوي﴾ وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه . ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنوات ثم كان في كفاله جده عبد المطلب إلي أن توفي وله من العمر ثماني سنوات فكفله عمه أبو طالب . ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذي قومه بعد أن ابتعثه الله علي رأس أربعين سنة من عمره . هذا وأبو طالب علي دين قومه من عبادة الأوثان . وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره .

ومن نعمه سبحانه وتعالى عليه ما ذكره سبحانه في قوله ﴿ووجدك ضالا فهدى﴾ قيل : ضل في شعاب مكة وهو صغير فهده الله لمنزله . وقيل : ضل وهو مع عمه في طريق الشام . كان راكبا ناقه في الليل . فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق وذلك قبل النبوة . فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة قذفه بها إلي الحبشة . ثم عدل بالرحلة إلي الطريق . حكاهما البغوي .

والراجع أن الآية أوسع من هذا أو تشمل أولا . هداية الله له بإنزال الوحي إليه . كما في قوله سبحانه ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان . ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ ومن نعمه سبحانه وتعالى ما ذكره بقوله ﴿ووجدك عائلا فأغني﴾ .

أي وجدك فقيرا فأغناك بالأتجار في مال السيدة خديجة . وجمع الله له في هذه الآية بين مقامي الفقير الصابر . والغني الشاكر . صلوات الله وسلامه عليه . ويرى البعض أن الغني هنا غني النفس بالقناعة . لقوله ﷺ ﴿ليس الغني عن كثرة العرض ولكن غني النفس﴾ رواه الشيخان والآية تسع لهذا وذاك .

٢ - ومن إكرام الله له الفتح المبين ومغفرة الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وإتمام النعمة عليه وهدايته الصراط المستقيم . ونصره ﷺ نصرا عزيزا .

يقول سبحانه ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليه ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا﴾ (الفتح ١ ، ٣) .

فقد جمع الله سبحانه له في هذه الآية بين العديد من النعم الدنيوية والأخروية وهي الفتح المبين . ومغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وما له ﷺ ولا لأحد من إخوانه

من النبيين والمرسلين ذنوب. لا كبائر ولا صفائر. للعصمة ولكن لهم مزيد الترقى. فيستغفرون من عبادة منزلة ترقوا عنها إلى عبادة منزلة أعلي وصلوا إليها بفضل الله سبحانه. فالآية من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. وفي الآية امتنان الله عليه بإتمام نعمه عليه. وهدايته الصراط المستقيم. وهو طريق الحق الموصل إلى مرضاة الله عز وجل. الذي يسأله كل مسلم ومسلمة في كل ركعة. قائلًا «اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم. غير المغضوب عليهم ولا الضالين».

٣ - ومن إكرام الله له شرح صدره ورفع ذكره .

يقول تعالى ﴿الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك﴾ (سورة الشرح الآيات ٤١، ٤٢) .

وشرح الصدر: هو تنويره وجعله فسيحاً رحباً واسعاً .

ومن جملة شرح صدره ما فعل بصدره ليلة الإسراء. وفي صفته وهو في الصحراء روي الإمام أحمد يستنده في مسنده عن أبي بن كعب أن أبا هريرة كان جريثاً علي سؤال رسول ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره.

فقال يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟. فاستوي رسول الله ﷺ جالساً. وقال: «لقد سألت يا أبا هريرة. إني في الصحراء ابن عشر سنين وأشهر. وإذا بكلام فوق رأسي. وإذا رجل يقول لرجل أهو هو ؟».

فاستقبلاني بوجوه لم أرها قط. وأرواح لم أجدها من خلق قط. وثياب لم أرها علي أحد قط. فأقبلا إلي يمحيان حتي أخذ كل واحد منهما بعضدي. لا أجد لأحدهما مساً. فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعتني بلا قصر ولا هصر .

فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره. فهوي أحدهما إلي صدري ففلقه فيما أري بلام ولا وجع. فقال له: أخرج الغل والحسد. فأخرج شيئاً كهيشه العلقه ثم نبذها فطرحها. فقال له: أدخل الرأفة والرحمة. فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة. ثم هز إبهام رجلي اليمني. فقال: أعد واسلم. فرجعت بها أعدو رقة علي الصغير ورحمة للكبير».

وأما قوله «ووضعنا عنك وزرك» فهي بمعنى: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» .

ورفع ذكره ﷺ من أجل نعم الله عليه . قال مجاهد : معناه . لا أذكر إلا ذكرت معي . أي في الشهادتين . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله . فلا تقبل الأولي إلا بالثانية . قال قتادة : فليس خطيب ولا متشهد ولا مصل إلا وينطق بهما مقترنتين . وقال بعض العلماء : رفع ذكره في الأولين والآخرين ونوه به حين أخذ الميثاق علي جميع النبيين أن يؤمنوا به وأن يأمرُوا أمهم بالإيمان به . ثم شهد ذكره في أمته فلا يذكر الله إلا ذكر معه .

٤ - ومن إكرام الله له تشريفه بالإسراء والمعراج . ورؤيته لربه . ومناجاته له . قال تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ وقال تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ .

روي الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند طرفيه . قال : فركبته حتي أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء . ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين . ثم خرجت . فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن . فاخترت اللبن . فقال جبريل : اخترت الفطرة .

ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل . فقيل من أنت ؟ . قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ . قال قد بعث إليه . ففتح لنا . فإذا أنا بآدم ﷺ فرحب بي ودعا لي بخير الحديث وفيه ثم عرج به ﷺ إلى السموات السبع سماءً بعد سماء وفي كل سماء يلقي بعض إخوانه من النبيين والمرسلين ويسلم عليهم ويدعون له بخير . إلهي أن وصل إلي سدة المتهي . فأوحى الله إليه ما أوحى . ففرض الله عليه خمسين صلاة في كل يوم وليلة . ثم خففت إلي خمس . فرضها الله عليه بدون واسطة . فرأي ربه وناجاه . فجمع الله له بين الرؤية في الدنيا والمناجاة .

٥ - ومن إكرام الله له تشريفه بتخصيصه بالشفاعة العظمي . وهي المقام المحمود . قال تعالى ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسي أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ (الاسراء ٧٩) قال ابن جرير : قال أكثر أهل التأويل : المقام المحمود : هو المقام الذي يقومه

المصطفى ﷺ يوم القيامة للشفاعة العظمي للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم. فيقبل الله شفاعته .

روي الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «أتى رسول الله بلحم . فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسه ثم قال : «أنا سيد الناس يوم القيامة . هل تدرون مم ذاك ؟ . يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد . يسمعهم الداعي وينفذهم البصر . وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يتحملون» .

فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه . ألا تنظرون من يشفع لكم إلي ربكم ؟ . فيقول بعض الناس لبعض : عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك . فاشفع لنا إلي ربك ألا تري ما نحن فيه ألا تري ما قد بلغنا ؟ . فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله . وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيت . نفسي نفسي نفسي . أذهبوا إلي غيري اذهبوا إلي نوح الحديث .

وهكذا تتجه الخلائق إلي رسل الله رسولا بعد رسول فذهبت إلي نوح ثم إلي إبراهيم ثم إلي موسى ثم إلي عيسى . والكل يذكر عذرا خاصا به يمنعه من القيام بالشفاعة العظمي . مع العذر العام . وهو غضب الجبار غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله «فيأتون محمدا ﷺ . فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء . وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . فاشفع لنا إلي ربك ألا تري ما نحن فيه ألا تري ما قد بلغنا ؟ . يقول ﷺ «فأتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي عز وجل ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه علي أحد قبلي فيقول : يا محمد ارفع رأسك . وسل تعطه . واشفع تشفع . فارفع رأسي وأسأل الله الشفاعة في فصل القضاء - أي بدء الحساب للخلاص من شدة الموقف .

هذا وقد ذكر الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره ح ٣ ص ٥٥ . طرفا من تشریف الله له يوم القيامة . يقول الإمام ابن كثير : «الرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد . وتشريفات لا يساويه فيها أحد .

فهو أول من تنشق عنه الأرض. ويبعث راكبا إلي المحشر. وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائه. وله الخوض الذي ليس في الموقف أكثر واردا منه. وله الشفاعة العظمي - تلك التي سبق الحديث عنها مباشرة -

ومن شفاعاته أنه يشفع في أقوام قد أمر بهم إلي النار فيردون عنها. وهو أول الأنبياء يقضي بين أمته. وأولهم إجازة علي الصراط بأمته. وهو أول شفيع في الجنة وفي حديث الصور أن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة إلا بشفاعته. وهو أول داخل إليها وأمته قبل الأمم كلهم. ويشفع في درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم. وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلي منزلة في الجنة لا تليق إلا له .

وإذا أذن الله تعالى في الشفاعة للعصاة شفع الملائكة والنبيون والمرسلون والمؤمنون فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى. ولا يشفع أحد مثله ولا يساويه في ذلك» ١ . هـ ابن كثير .

٦ - ومن إكرام الله لنبينا ﷺ أنه جعله رحمة للعالمين . قال تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الانباء ١٠٧) .

فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال ﷺ «حياتي خير لكم تمحدثون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت وفاتي خيرا لكم تعرض علي أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله وإن رأيت شرا استغفرت لكم» ابن سعد عن بكر بن عبد الله - مرسل - وحسنه السيوطي . ح ١ ص ٢٥٦ .

فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه. والواصل فيهما إلي كل محبوب وهو ﷺ رحمة لجميع الخلائق للمؤمنين رحمة بالهداية. ورحمة للمنافق بالأمان من القتل. ورحمة للكافرين بتأخير العذاب. أي العام الشامل كإغراق قوم نوح . وقلب قري قوم لوط .

وحكي أن النبي ﷺ قال لسيدنا جبريل هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال : نعم كنت أخشي العاقبة . فأمنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ﴿ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾ وقال ﷺ : «إنما أنا رحمة مهداة» صححه السيوطي الجامع الصغير ح ١ ص ١٧٧ .

٧ - ومن إكرام الله لرسوله ﷺ أنه سماه نورا قال تعالى ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ (المائدة ١٥) .

كما سماه سراجا منيرا قال تعالى ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله يأذنه وسراجا منيرا﴾ .

ويقول الألوسي : «بل هو نور عظيم . وهو نور الأنوار والنبي المختار ﷺ وإلى هذا ذهب قتادة . واختار الزجاج . وقال تعالى ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ .

قال كعب الأحبار وابن جبير : المراد بالنور الثاني في الآية محمد ﷺ فقلوه ﴿مثل نوره﴾ أي نور محمد . وقال سهل بن عبد الله : المعني : الله هادي أهل السموات والأرض ثم قال : مثل نور محمد إذ كان مستودعا في الأصلاب كمشكاة صفتها كذا . . راجع الشفاء للقاضي عياض ح ١ ص ١١٠ ، ١١٠ .

وقال مجاهد : كان رسول الله ﷺ إذا قام في الصلاة يري من خلفه كما يري من بين يديه . وبه فسر قوله تعالى ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ أي تقلب نظره في الساجدين خلفه .

وفي الموطأ عنه عليه الصلاة والسلام : «إني لأراكم من وراء ظهري» ونحوه عن أنس في الصحيحين . وفي بعض الروايات «إني لأنظر من ورائي كما أنظر من بين يدي» . وفي أخرى «إني لأبصر من قفاي كما أبصر من بين يدي» .

وكل هذا يرجع ما ذهب إليه شيخ المفسرين من أنه نور عظيم . وهو نور الأنوار وهذا لا يخرج عن البشرية ﷺ . فهو نور خلقه الله عز وجل .

٨ - ومن إكرام الله لرسوله ﷺ تفضيله صلى الله عليه وسلم علي جميع خلق الله . فهو ﷺ أفضل خلق الله أجمعين . وسيد النبيين وإمام المرسلين . قال ﷺ : «فضلت علي الأنبياء بست . أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب . وأحلت لي الفنائم . وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا . وأرسلت إلي الخلق كافة . وختم بي النبيون» رواه مسلم .

وقال ﷺ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة . وأول من ينشق عنه القبر . وأول شافع وأول مشفع» رواه مسلم .

ومن إكرام الله تعالى لنبيه ﷺ تفضيله علي جميع المرسلين. بعموم بعثته للإنس والجن من لدن بعثته إلي قيام الساعة. قال تعالى ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ وقال تعالى ﴿تبارك الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾. وقال تعالى ﴿قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلي الرشد فأمنا به﴾ .

وقال ﷺ «لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار» رواه مسلم .

٩ - ومن إكرام الله لرسوله ﷺ أخذه سبحانه علي النبئين والمرسلين الإيمان به ﷺ ونصرته علي من يدرکه منهم .

قال تعالى ﴿وإذا أخذ الله ميثاق النبئين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه. قال أأقرتم وأخذتم علي ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ .

قال المفسرون: أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ونعمته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به. وقيل: أن يسيئه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم .

قال تعالى مشيرا إلي ذلك علي لسان السيد المسيح عيسي بن مريم عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام: ﴿ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ .

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه: لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه. ويأخذ العهد بذلك علي قومه .

١٠ - ومن إكرام الله لرسوله ﷺ ابتعائه تعالى له آخر الأنبياء وذكره له أولهم. قال تعالى: ﴿وإذا أخذنا من النبئين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ وقال قتادة: إن النبي ﷺ قال: كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث. وقال ﷺ: كنت نبيا وآدم منجدل في طيته .

وقال ﷺ: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» .

١١ - ومن إكرام الله لرسوله ﷺ جعل طاعته ﷺ طاعه الله . قال سبحانه : ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ .

وذلك لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . روي ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله . ومن أطاع الأمير فقد أطاعني . ومن عصي الأمير فقد عصاني » قال ابن كثير : ورواه الشيخان أيضا .

وفي بعض الآثار عن مقاتل في سبب نزول الآية : أن النبي ﷺ كان يقول : «من أحبني فقد أحب الله تعالى . ومن أطاعني فقد أطاع الله تعالى » . فقال المنافقون : ألا تسمعون إلي ما يقوله هذا الرجل . لقد قارف الشرك . وهو قد نهى أن يعبد غير الله تعالى . ما يريد إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام ؟ . فنزلت .

١٢ - ومن إكرام الله لرسوله ﷺ تكمیل الله له خلقه ثم ثناءه عليه بذلك . قال عز من قائل ﴿وانك لعلي خلق عظيم﴾ وقال ﷺ : «أنا بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وسئلت أمنا السيدة عائشة عن خلقه ﷺ فقالت : «كان خلقه القرآن» ولا يتسع هذا المقام لتفصيل الكلام عن خلقه ﷺ . وخلق القرآن . فبحسبي أن أذكر طرفا مما كمله الله به وأكرمه . فقد جملة مولاه بخلق الحلم فما من حليم إلا وقد عرفت منه زلة . وحفظت عنه هفوة . وهو ﷺ لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرا . وعلي إسراف الجاهل إلا حلما .

روي أن النبي ﷺ لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك علي أصحابه . وقالوا : لو دعوت عليهم . فقال ﷺ : «إني لم أبعث لعانا» ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» .

وقال عمر رضي الله عنه : «بأي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح علي قومه فقال : رب لا تذر علي الأرض من الكافرين ديارا» . ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا جميعا . فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأيت أن تقول إلا خيرا . فقلت : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» .

وجمله مولاه كذلك بخلق الجود والكرم . قال ابن عباس : كان رسول الله ﷺ

أجود الناس. وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من ليالي رمضان فيدارسه القرآن. فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة .

وعن أنس أن رجلا سألَه فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلي قومه وقال: أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشي فاقة .

وجمله مولاه وأكرمه بخلق الشجاعة. فقد حضر المواقف الصعبة. وفر الكرامة والأبطال عنه مرة. وهو ثابت لا يبرح. ومقبل لا يدبر. وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة سواء ﷺ .

وقال علي رضي الله عنه: «إنا كنا إذا اشتد اليأس واحمرت الخدق اتقينا برسول الله ﷺ . فما يكون أحد أقرب إلي العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلي العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا» .

وعن أنس كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فرع أهل المدينة ليلة. فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا قد سبقهم إلي الصوت. وقد استبرأ الخبر علي فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه. وهو يقول: لن تراعوا» .

والحديث عن أخلاقه ﷺ التي كان عليها. وكان بها نموذجا حيا للقرآن الكريم لتقتدي به أمته حديث طويل. لا يتسع المقام للإحاطة به. بل ولا سبيل للإحاطة به فكيف نحيط علما بأخلاق القرآن الكريم. وهو كلام الحكيم العليم. والذي لا يخلق علي كثرة الرد ولا تنفد عجائبه .

١٣ - ومن إكرام الله لرسوله ﷺ أنه جعله أمانا لأمته من العذاب العام الشامل. عذاب الإبادة. كإغراق قوم نوح. وإهلاك عاد وثمود وقوم لوط. قال تعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهو يستغفرون﴾ كما جعله أمانا لأمته كذلك من العذاب الخاص بتسليط أعدائهم عليهم. يقتلونهم ويأخذون أموالهم .

قال القاضي عياض في الشفاء: قال الله تعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ أي ما كنت بمكة. فلما خرج النبي من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين، نزل قوله تعالى ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ .

فلما هاجر المستضعفون من المؤمنين نزل قوله تعالى ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياءه الا المتقون﴾ .

وهذا واضح في إظهار مكانته ﷺ ودرته العذاب عن أهل مكة بسبب وجوده بينهم . ثم درء العذاب عنهم بعده بسبب وجود أصحابه بينهم من المستضعفين العاجزين عن الهجرة بسبب كونهم يستغفرون الله .

فلما خلت مكة من المسلمين عذب الله أهلها من الكافرين بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم لهم قال رسول الله ﷺ : «أنزل الله علي أمانين لأمتي» وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار» .

وقال بعض الأئمة: الرسول ﷺ هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سته باقية فهو باق . فإذا أميتت سته فانظروا البلاء والفتن .

وفي هذه الآية أعلمنا الله بأنه ﷺ أمان لأمته . وفهم بعض العلماء السابق لها أن بقاء العمل بستته بقاء له . فهو باق ﷺ فينا ما عملنا بستته .

كما أعلمنا الله أن الاستغفار أمان آخر من العذاب للأمة . فعلي المسلمين أن يتمسكوا بهذين الأمانين العمل بستته . وهو يشمل العمل بالإسلام كله . فلا سبيل للعمل بالسنة بدون العمل بالقرآن .

والاستغفار يدخل في العمل بستته . ولكنه ﷺ يحثنا بهذا علي الإكثار منه في الليل والنهار والسر والإعلان . فله مزيد فضل في حفظ الأمة .

١٤ - وما أكرمه الله عز وجل به تشريعه سبحانه الصلاة والسلام عليه وجعل الصلاة والسلام عليه فرضا يجب أدائه .

قال تعالى ﴿إن الله وملائكته يصلون علي النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ .

وفي هذه الآية أظهر الله فضل نبيه ﷺ بصلاته سبحانه عليه ثم بصلاة ملائكته عليه كذلك . ثم بأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه .

وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض العلماء تأول قوله ﷺ : «وجعلت قرة

عيني في الصلاة علي هذا أي في صلاة الله تعالى عليّ وملائكته وأمره الأمة بذلك إلي يوم القيامة. هذا والصلاة من الله تعالى علي رسوله رحمة. ومن الملائكة استغفار ومن المؤمنين دعاء .

ومما أكرمه سبحانه وتعالى به صلاته سبحانه عشرا على من صلى عليه عليه الصلاة والسلام واحدة. قال ﷺ : «من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا» رواه مسلم

هذا ولا يتسع المقام لاستيعاب جميع ما أكرمه الله عز وجل وبه .

و الله أعلم .